شليمون بيت شموئيل
اصالة وتجديد في الاغنية الاشورية

بقلم: حنا ابو آشور

■ كنتُ مقيماً في بيروت اعوام الثمانينات. وكان لي الكثير من الصداقات، وخاصة بين المحترفين في حقل الفن من غناء وموسيقى. وكنتُ اقوم دائماً بإعطائهم الاشرطة والكاسيتات الاشورية، وحسب اعتقادي ربما يتأثرون بتلك الالحان المعروفة آنذاك، وابداء رأيهم عن الغناء الاشوري.

وذات يوم، وانا ازور صديقي الموسيقار ملحم بركات سمعتُ صوت المسجلة في بيته يدوي عالياً بأغنية آشورية «كيف استطيع ان اغني مسروراً»، كانت مفاجأة كبيرة لي عندما علق احد الحاضرين من الفنانين: «هذا هو الفن الاشوري الاصيل النابع من تلك الارض والبيئة.. ان كان غناء فولكلوري او لحن كنسي حُوّلَ الى لحن وطني، وهذا صعب جداً». وتابع يقول: «بالله عليك، ترجم لنا هذه الاغاني .. وهكذا ازداد اهتمامي بالفنان الاشوري الاصيل شليمون بيت شموئيل عندما لاقت اغانيه كل الاهتمام من ابناء شعبنا في لبنان، فدخل بيت شموئيل كل بيت وكل قلب.

ولد وترعرع شليمون في بيئة جميلة هي التي كونت له الاصالة الفنية من وادي صبنا العظيم الى جبل كارا الشاهق، حيث يمكن رؤية جبال حكاري والسهول المترامية حتى مدينة الموصل.

شليمون ابن الارض الطيبة وكنار ما بين النهرين. حمل قيثارة الليل الحزين، فكان له ذلك الخيال الواسع الخصب والرؤية الفنية البعيدة المدى. حمل آلام وآمال امة. فغنى لها طوال مسيرته الفنية. صوته آت من الشواطيء البعيدة، ومن ما وراء البحار، يغني بتلك الطبيعة التي نشأ فيها.. فعلى الرغم من البعد الشاسع الذي يفصله عن ارض صباه وهو يعيش بالقرب من ناطحات السحاب، بقي مرتبطاً بالوطن، وحلم العودة نسمعه دائماً في اغانيه.

بدايته كانت في مدينة بغداد، حيث انهى دراسته الاعدادية، ثم انضم الى النادي الثقافي الاثوري.. فلاحظ بعض الشعراء الكبار في صوته ذلك الدفء والحنان والاصالة الفنية في الحانه، فالى جانب كونه مؤلفاً للأغاني نظم له عدة شعراء امثال الشاعر دنخا إيشا الذي ابدع في القصيدة «المذبحة» (سميل)، إذ تمكن شليمون من تلحينها وجعلها غناء وطنياً. ونظم له الشاعر الكبير اوديشو ملكو قصيدة «أكارا». وفي ارض الوطن ألّفَ اغنية «طريق نينوى» ومحتوى كلماتها تعبر عن الامل بالعودة الى المدينة العريقة القديمة التي يحلم بالعودة إليها كل اشوري مخلص، إذ يناجي في احد مقاطعها السماء ويقول: «يا رب، من هو الذي يستطيع فك وحل عقدتي».

هرب شليمون، وهو من جيل السبعينات، الى ايران، فلاقى كل الترحيب من ابناء شعبنا هناك، فدرس الموسيقى والادب الانكليزي في جامعة طهران التي اعطته زخماً فنياً رائعاً. فغنى الفولكلور السهلي من سهول ألقوش ونينوى، الى سهول ارروميا في ايران، والفولكلور الجبلي من جبال حكاري الى طور عابدين. فغنى اغنية «آشورينا» التي استوحاها من سهول ارروميا، مشبهاً تلك الطبيعة والبيئة بفتاة اشورية جميلة اسمها «آشورينا»..نظم كلمات هذه الاغنية الشاعر الاشوري يوسف بيت شهباز، كما نظم له مجموعة اخرى من الاغاني منها: «لا انام، الندى، كيف استطيع ان اغني مسروراً». وهناك شعراء آخرون امثال سايمون اميرخاص الذي نظم اغنية «اربا ايلو».

شليمون، نراه ذلك الطائر المهاجر الذي غنى اغنية الشهيدة (سميل) الاشورية التي اصبحت رمزاً لكل اشوري مخلص والتي كان لها التأثير البالغ في نفوس ابناء شعبنا بحيث اصبحت اسطورة تتجدد كل يوم، فدخلت التاريخ من بابه الواسع بحيث اصبح السابع من آب في التقويم الاشوري يوم الشهيد، وعلى الرغم من الغربة التي تقارب الثلاثين عاماً، بقي بيت شموئيل مخلصاً لفنه الاصيل، فلم يتغير ولم ينس اهات الوطن ولا شمسه ولا مياهه ومراعيه الخضراء، كما نراه في اغنيته الفولكلورية (زومه وكوزه) يحلم بالعودة دائماً.. فهو اشبه بورقة صفصاف هائمة في فم التيار البعيد من شهر نيسان، فيطير بخياله وابداعه الى ارض الوطن.

ومن النشاطات الفنية الاخرى، استدعي بيت شموئيل الى السويد من قبل اتحاد الاندية الاشورية لإقامة مهرجان ثقافي وفني الذي دام سبعة ايام، وكان من بين

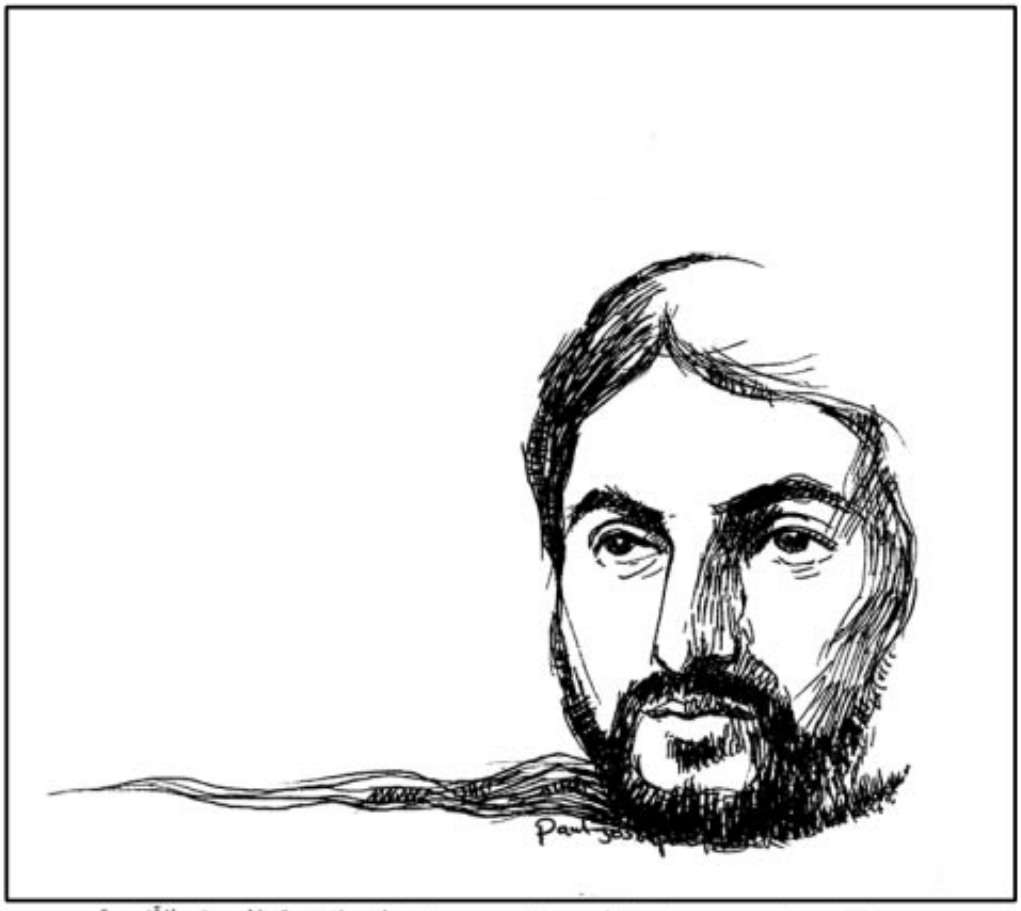

الفنان شليمون بيت شموئيل.. عطاء مستمر في تطوير الاغنية والموسيقى الأشورية

الحضور الكاتب العراقي الكبير سليم مطر مؤلف كتاب «الذات الجريحة»، والذي قال: «ثم اتذكر شليمون بيت شموئيل، وهومغني آشوري معروف مقيم في امريكا وله معرفة ثرية جداً بتاريخ الموسيقى في بلاد الرافدين».. والباحث العراقي محمد البندر الذي قال « وكانت فرصة طيبة لأن التقي بشليمون بيت شموئيل، الموسيقي العراقي الشفاف الذي سحر الجميع». كما كتب عنه الكاتب والصحافي الاشوري اپرم شبيرا، والكاتب والصحافي الكبير الدكتور سعدي المالح صاحب مجلة «عشتار». كما اقام شليمون محاضرة موسيقية بعنوان: «تاريخ الموسيقى الاشورية وتأثيرها في الترانيم الغربية»، وغنى اغانيه وذلك بحضور فرقة سويدية التي عزفت معه تلك الالحان ذات المستوى الرفيع، فهتف له الجمهور طويلاً، معجباً بهذا الاداء الراقي، وصرحت عازفة البيانو (آنا يوغناهوم) عنه بأن هذا المغني لا يقل فناً عن اي مغني اوروبي، ولي الفخر بأنني شاركته في العزف، وبذلك برهن بيت شموئيل مرة اخرى بأنه مغني الامة الاشورية وبجدارة، فنال اعجاب ابناء امتنا في السويد. وله نشاطات اخرى عديدة منها محاضراته في المانيا والدانمارك. واقامته حفلة كبرى في إستوكهولم بدعوة من جمعية آشور فغنى فيها اجمل اغانيه.

وفي الختام، تحية لفناننا الاصيل الذي غنى طوال مسيرته الفنية للامة الاشورية، ففتح قلبه لكل ابناء شعبه باذلاً جهوده بالعطاءات الفنية المميزة التي ستبقى رمزاً لكل آشوري حر.